الإقراء النبوي وإقراره:

المفهوم والمقتضيات

د.ة. غنية بوحوش

أستاذة مقياس علوم القرءان والحضارة
والصوتيات بجامعة محمد الصديق بن يحيى
بجيجل ـ الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي خصنا بأعظم كتاب أنزل وبأكرم نبي أرسل وجعل تلاوة القرآن الكريم به تعالى تتصل فأتم بذلك نعمته علينا وأكمل ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، إمام الكل الهادي إلى أقوم السبل وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين واعتدل ، أما بعد .

فقد ميز الله عز وجل القرآن الكريم بميزات عديدة تليق بكونه الكتاب السماوي الخاتم؛ ومن ذلك نزوله الصوتي، وحفظه- فضلا عن التوثيق الكتابي-حفظا صوتيا، إنه الكتاب السماوي الوحيد الذي لا يمكن حمله بحقه إلا سماعا ومشافهة، وفي ذلك بيان لشرف قدره؛ إذ لا غنى لطالبه من الأخذ من أفواه القرأة المهرة، كما أن في ذلك مكرمة لهذه الأمة التي تتفرد عن العالمين بفضل الصلة برب العزة تبارك وتعالى في تبليغ كتاب ربها.

ومن علامات العناية بالكتاب الخاتم والرحمة بالأمة تعدد قراءاته التي يعود أصلها جميعا؛ إلى النقل والسماع والرواية، ولا مجال فيها للرأي أو الاجتهاد؛ ولا القياس، وعلى ذلك إجماع الأمة قديما وحديثا وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

والنزول والتبليغ الصوتي للقرآن الكريم اقتضى طريقة خاصة في التحمل والأداء سميت بالقراءة والإقراء ، وأول من أخذ القرآن الكريم بهذه الكيفية الرسول الأمين ﷺ عن أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وبالكيفية نفسها أداه للصحابة الكرام، وهم إلى من تلاهم، واستمر وسيستمر تناقل القرآن على تلك الحال بين الأجيال .

ولئن كان **الإقراء** وسيلتنا لبلوغ وتبليغ القرآن الكريم ، وحي الله تعالى الخاتم ونوره للعالمين، فقد كان جديرا بنا معرفة حقيقته ومقتضياته ، والورقة التي أضعها بين أيديكم محاولة متواضعة لتحقيق ذلك ، وذلك من خلال الآتي :

المبحث الأول :إقراء النبي ﷺ الصحابة : المفهوم والمقتضيات

المطلب الأول : مفهوم الإقراء لغة واصطلاحا

لغة: مصدر على وزن إفعال لفعل أقرأ، مشتق من الجذر الثلاثي (ق ، ر ، أ)، والإقراء والاقتراءوالاستقراء سواء، ولمادة (ق ، ر ، أ) مصادر أخرى: القِرَاءَة والقُرْآن والقَرْء، وهي ترد على معان عديدة منها:

أ- الجمع والضم : أي جمع وضم الشيء إلى بعضه أو إلى غيره ، ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلا قط؛ أي لم يجمع ولم يضم رحمها جنينا[1] ، ومنه أيضا القرية ؛ سميت كذلك لاجتماع الناس فيها[2] .

ب- التلاوة : أي النطق بالكلمات المكتوبة[3] .

ج- البلاغ والإبلاغ والتبليغ : كقولنا : قرأ عليه السلام أي أبلغه إياه[4]، «يقال: أقرئ فلانا السلام ، واقرأ عليه السلام ، كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده »[5] .

---

(1) تاج العروس ، محمد الزبيدي ، مادة ق ر أ ، ج 1 ص 253 .
(2) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مادة ق ر أ ، ج 5 ص 78 .
(3) القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، باب الهمزة فصل القاف ، ص 77 .
(4) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(5) لسان العرب المحيط ، ابن منظور ، مادة قرأ ، ص 3564 .

د ـ طلب القراءة ؛ والحمل عليها ، جاء في اللسان : « واستقرأه : طلب إليه أن يقرأ ... وإذا قرأ الرجل القرآن والحديث على الشيخ يقول : أقرأني فلان ، أي حملني على أن أقرأ عليه »[1].

هـ ـ المدارسة: ففي اللسان أيضا : « وقارأه مقارأةً وقِراءً بغير هاء دارسه »[2].

اصطلاحا :

« هو أن يُقْرِئَ الرسول ﷺ الصحابيَّ ما أنزله الله تعالى عليه ، وذلك بأن يقرأ النبي ﷺ أَوَّلا على الصحابي ، أي : يلقي عليه تلاوة ما أنزله الله عليه، فَيَعِيهِ الصحابيُّ ، ثم يقرأ الصحابيُّ ما تُلِيَ عليه مطابقا لما سمعه »[3] .

المطلب الثاني: مستويات الإقراء ﴿كيفياتها ومقاصدها﴾

بتتبع وتأمل النصوص الواردة في القراءة والإقراء قرآنا وسنة ـ سيأتي ذكرها ـ؛ يتبين أن للإقراء في العهد النبوي أربعَ مستوياتٍ ، هي :

الأول : إقراء الله تعالى الرسول ﷺ القرآن الكريم

ويشهد لهذا المستوى النصوص الآتية :

قال الله تعالى :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[4] .

---

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(3) وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله ﷺ إلى أمته ، محمد حسن جبل ، ص 16 .

(4) سورة الأعلى الآية 6 .

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[1] .

﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[2] .

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[3] .

مقاصد الإقراء في هذا المستوى والمراد به :

ليس المراد بالإقراء هنا أنه صلى الله عليه وسلم أخذ القرآن الكريم من الله تبارك وتعالى بشكل مباشر ، وإنما المراد به الجمع والسكب في القلب، « إذ الوحي القرآني ليس إلقاء محضاً فجائياً في النفس (كالإلهام)، بل حركة وصوت مقطع حرفاً حرفاً متتابع على هيئة التعليم، ويدل له صريحاً قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[4] ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[5] ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[6]، وفي لفظ للبيه قيل حديثالحارث ابن هشام (فيعلمني)[7]، وهي تطبيق واقعي لحقيقة ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ ، ويدل لها قوله في الرواية، المشهورة (فيكلمني)

---

(1) سورة القيامة الآية 16 – 17 – 18 .

(2) سورة النمل الآية 6 .

(3) سورة المزمل الآية 5 .

(4)سورة القيامة الآية 16 .

(5) سورة طه من الآية 114 .

(6) سورة النجم من الآية 5 .

(7) قال ابن حجر في فتح الباري ، ج 1 ص 21 : « والظاهر أنه تصحيف »، مع أنها لا تستبعد كما هو واضح، كذا قال عبد السلام المجيدي .

وعندأحمد (فيخبرني)، ولذا كان النبي ﷺ يحرك شفتيه عند تلقي الوحي القرآني، وما ذاك إلا لمتابعة الحرف الحرف ... »[1] .

والمقصد الأساس في هذا المستوى من الإقراء أمران هما :

أولا : التأكيد على المصدرية الإلهية للقرآن الكريم ، وأنه من عند الله تعالى كله حرفا حرفا، فلا يتطرق شك ولا ريب بخصوص ذلك ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[2]، وقال تعالى أيضا : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[3]، والتأكيد على أن ما ينطق به محمد ﷺ هو **وحي من الله تعالى وليس وهما ولا خيالا ولا حديث النفس أو غير ذلك مما** يزعمه منكرو الوحي قديما وحديثا[4]، قال تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[5].

---

(1) تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم ، عبد السلام المجيدي ، ص 112 _ 113 .

(2) سورة النمل الآية 6 .

(3) سورة الشعراء الآيات 192 ـ 193 ـ 194 .

(4) لا يتردد بعض المنسوبين ـ خطأ ـ إلى الفكر والتنوير والتحديث ؛ في ترديد أقوال مشركي مكة في ردهم وإنكارهم الوحي الإلهي للرسول محمد ﷺ، ومن ذلك قول عبد المجيد الشرفي : « ولقد كانت المعلومات التي تلقاها محمد من حوله ، واطلع عليها في أسفاره عن طريق الأحناف أو أهل الكتاب مما كان يبلغ إلى مسامع معاصريه من دون أن يولوه أدنى أهمية لأنه خارج عن أفهامهم الذهنية ومشاغلهم ، ومن نتائج تأمله الطويل عندما كان ينقطع عن الناس ويتحنث في غار حراء ، كان كل ذلك المادة التي تخمرت في ذهنه ووصل بها إلى اليقين بأن الله اصطفاه لتبليغ رسالته إلى قومه أولا وإلى الناس كافة من خلالهم » الإسلام بين الرسالة والتاريخ ، عبد المجيد الشرفي ، ص 34 .

(5) سورة النجم الآية 3ـ 4 .

ثانيا :حفظ القرآن الكريم؛ بإلقائه وجمعه في قلب النبي ﷺ، تحقيقا لوعده تبارك وتعالى بالتكفل بحفظه، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

الثاني:إقراء جبريل عليه السلام الرسول ﷺ، وشاهده النصوص الآتية :

➢ **من القرآن الكريم :**

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] .

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[3].

➢ **من السنة النبوية الشريفة :**

1ـ عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« **أقرأني** جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف »[4] .

كيفيته :

---

(1) سورة الحجر الآية 9 .

(2) سورة البقرة الآية 97 .

(3) سورة الشعراء الآيات 192 ـ 193 ـ 194 .

(4) أخرجه البخاري ومسلم .

اتخذ هذا المستوى من الإقراء صورتي **العرض والتلقي** وسميت بالمدارسة أو المعارضة ، وكل منهما على صيغة المفاعلة التي تقتضي صدور الفعل من طرفين اثنين ، إذ يقرأ جبريل عليه السلام القرآن الكريم على رسول الله ﷺ ، ويقرأ النبي ﷺ على جبريل عليه السلام[1]، ويدل على ذلك حديثا المعالجة والمعارضة ، قال ابن عباس رضي الله عنه: « كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفتيه ... فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[2]، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع ، فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي ﷺ كما قرأه »[3]، وعن السيدة فاطمة رضي الله عنها أنها قالت : « أَسَرَّ إِليَّ النبيُّ ﷺ أن جبريلَ كان يُعارِضُنِي بالقرآنِ كُلَّ سنةٍ وإنّهُ عارضني العامَ مَرَّتَيْنِ ولا أُرَاهُ إلا حَضَرَ أجَلِي »[4]، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان **فيدارسه** القرآن»[5].

مقاصده :

للإقراء في هذا المستوى مقصدان هما :

---

(1) ينظر علم القراءات ، نبيل آل إسماعيل ، ص 69 .

(2) سورة القيامة الآية 16 .

(3) أخرجه البخاري ومسلم .

(4) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ح رقم 3426 ج 3 ص 1326 -1327 وأخرج رواية أخرى عن أبي هريرة في كتاب فضائل القرآن ح رقم 4712 ج 4 ص 1911 .

(5) أخرجه البخاري رقم 6 .

أولا : المقصد التنـزيلي التبليغـي: أي إنـزال الـوحي مـن الله تعـالى وإبلاغـه النبـي الرسول محمد ﷺ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[1].

ثانيا : معارضةٌ ومدارسةٌ بقصد التوثيق والتثبيت : كان جبريل عليه السلام يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل عام مرة حتى إذا كـان العـام الـذي قـبض فيـه عليـه الصـلاة والسلام عارضه مرتين ، وكل ذلك من أجل توثيق النص القرآني توثيقـا دقيقـا وبكـل قراءاته المنزلة المثبتة ، فعن السيدة فاطـمة رضي الله عنها أنها قالت : « أَسَرَّ إِلَيَّ النبيُّ ﷺ أن جبريلَ كان يُعارِضُنِي بالقرآنِ كُلَّ سنةٍ وإنّهُ عارضني العامَ مَرَّتَيْنِ ولا أُرَاهُ إلاحَضَرَ أَجَلِي »[2]، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « كـان رسـول الله ﷺ أجـود النـاس ، وكـان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان **فيدارسه** القرآن»[3].

---

(1) سورة الشعراء الآيات 192 ـ 193 ـ 194.

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصـحابة ح رقـم 3426 ج 3 ص 1326 – 1327 وأخـرج روايـة أخرى عن أبي هريرة في كتاب فضائل القرآن ح رقم 4712 ج 4 ص 1911 .

(3) أخرجه البخاري رقم 6 .

ملحوظة :

يؤكد حديث المعارضة مدى العناية التي حظي بها القرآن الكريم ، فلم يكن جبريل عليه السلام يكتفي بالإقراء والتبليغ فحسب وإنما كان يخصص موعدا سنويا للمراجعة ، على الرغم من عظيم أمانة النبي ﷺ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقرئ الصحابة القرآن الكريم بالكيفية نفسها التي كان يتلقاها من جبريل عليه السلام ، حتى وصفت قراءته صلى الله عليه وسلم بالمُمَاثِلة لقراءة جبريل عليه السلام من حيث أصل اللفظ وأداؤه[1] ، يشهد لذلك قول ابن عباس رضي الله عنه: « فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي ﷺ كما قرأه»[2].

ثالثا : تعليمي توجيهي : إن إقراء جبريل عليه السلام الرسول ﷺ ومدارسته ومعارضته له، كل ذلك بغرض تعليم المسلمين المنهج الصحيح للتعليم القرآني ؛ الذي يعتمد السماع والمشافهة والتلقي ، والمراجعة والمدارسة، قال الكرماني : «وفائدة درس جبريل عليه السلام تعليم الرسول ﷺ تجويد لفظه وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها ، وليكون سنة في هذه الأمة كتجويد التلاميذ على الشيوخ قراءتهم »[3].

(1) ينظر تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم ، عبد السلام المجيدي ، ص 174 .
(2) أخرجه البخاري ومسلم .
(3) عمدة القاري ، العيني ، ج 1 ص 206 .

الثالث: إقراء الرسول ﷺ الصحابة ، ودليله :

➢ **من القرآن الكريم :**

قال الله تعالى :

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[1].

وقال الله تعالى :

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[2].

وقال الله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[3].

➢ **من السنة النبوية الشريفة :**

1ـ عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام **يقرأ** سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت **لقراءته** فإذا هو **يقرأ** على حروف كثيرة لم **يقرئنيها** رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلببته

(1) سورة البقرة الآية 151 .
(2) سورة آل عمران الآية 164.
(3) سورة الجمعة الآية 2 .

بردائه، فقلت : من **أقرأك** هذه السورة التي سمعتك **تقرأ** ؟ قال : **أقرأنيها** رسول الله ﷺ، فقلت : كذبت ... فإن رسول الله ﷺ قد **أقرأنيها** على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت : إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم **تقرئنيها**، فقال رسول الله ﷺ: « أرسله .. **اقرأ** يا هشام » .. **فقرأ** عليه **القراءة** التي سمعته **يقرأ** ، فقال رسول الله ﷺ « كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ »[1] .. ثم قال : « **اقرأ** يا عمر » .. **فقرأت القراءة** التي **أقرأني** ، فقال رسول الله ﷺ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ .. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، **فاقرؤوا** ما تيسر منه»[2].

2ـ عن أبيّ ﷺ أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار ، فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال : إن الله يأمرك أن **تقرئ أمتك** القرآن على حرف .. فقال : « أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك » ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن **تقرئ أمتك** القرآن على حرفين ، فقال : « أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك »، ثم جاءه الثالثة ، فقال : إن الله يأمرك أن **تقرئ أمتك** القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك »، ثم جاءه الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن **تقرئ أمتك** القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف **قرأوا** عليه فقد أصابوا ..»[3] .

3ـ عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلا **قرأ** آية من القرآن فقال له عمرو : إنما هي كذا وكذا بغير ما **قرأ** الرجل ، فقال الرجل : هكذا **أقرأنيها** رسول الله ﷺ،

---

(1) وفي رواية : « هكذا أنزلت ».

(2) أخرجه البخاري ومسلم .

(3) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه فذكرا ذلك له ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فأي ذلك **قرأتم أصبتم** ، فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر »[1].

4ـ عن ابن مسعود ﷺ قال : « **أقرأني** رسول الله ﷺ سورة آل حم ، فرحت إلى المسجد فقلت لرجل : **اقرأها**، فإذا هو **يقرأ** حروفا ما **أقرأها** ، فقال : **أقرأنيها** رسول الله ﷺ... فانطلقا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه فتغير وجهه وقال : « إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف » ثم أسر إلى عليّ شيئا ، قال عليّ : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل منكم **كما عُلِّمَ** ، فقال : فانطلقنا وكل رجل منا **يقرأ** حروفا **لا يقرأها** صاحبه »[2] .

5ـ قال عمر بن الخطاب ﷺ: « أُبَيٌّ أَقْرَأُنَا وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ لَحْنِ أُبَيٍّ، أُبَيٌّ يَقُولُ : **أَخَذْتُهُ مِنْ فِي** رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عليهِ وسلمَ فَلا أَتْرُكُهُ لِشَيْءٍ »[3].

6ـ ورد في صحيح البخاري أنه : « قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال : أيكم **يقرأ** على **قراءة** عبد الله ؟ قال : كلنا قال : فأيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة قال: كيف سمعته **يقرأ** ﴿**وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ**﴾[4]؟ قال علقمة : « والذَّكَرِ والأنثى » قال : أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ **يَقْرَأُ هَكَذَا** وَهَؤُلاءِ يُرِيدُونِي أَنْ **أَقْرَأَ** « **وَمَا**

(1) رواه النسائي وأحمد .

(2) رواه ابن حبان والحاكم .

(3) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ح رقم 4211 ج 4 ص 1628 - 1629 ، وفي كتاب فضائل القرآن ح رقم 4719 ص ج 4 ص 1913 .

(4) سورة الليل الآية 1 .

خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى»[1] وَالله لا أُتَابِعُهُمْ »[2]، وكذلك قرأها عبد الله بن مسعود ﷺ وقال : « **أَقْرَأَنِيهَا النَّبِيُّ ﷺ فَاهُ إِلى فِي فَمَا زَالَ هَؤُلاءِ حَتَّى كَادُوا يَرُدُّونِي**»[3] .

7ـ عن عبد الله بن مسعود قال : « والله لقد أخذت **من فِي رسول الله** ﷺ بضعا وسبعين سورة »[4] .

8ـ عن البراء بن عازب ﷺ قال : **سمعت** رسول الله ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا منه »[5] .

9ـ عن محمد بن جبير عن أبيه ﷺ قال : « **سمعت** رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي »[6] .

10 – عن أم هشام بنت حارثة قالت : « **ما أخذت** : ﴿قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾[7] ﴾[7] **إلا عن لسان** رسول الله ﷺ يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس »[8] .

.

11ـ عن أم هانئ رضي الله عنها قالت : « **كنت أسمع** قراءة النبي ﷺ بالليل وأنا على عريشي »[1] .

---

(1) سورة الليل الآية 3 .
(2) صحيح البخاري كتاب التفسير ح رقم 4659 و 4660 ج 4 ص1889 .
(3) المصدر نفسه ، كتاب فضائل الصحابة ح رقم 3550 ج 3 ص 1372 - 1373 .
(4) أخرجه البخاري ومسلم .
(5) أخرجه البخاري ومسلم .
(6) أخرجه البخاري .
(7) سورة ق الآية 1 .
(8) أخرجه مسلم .

12ـ عن ثابت البناني رحمه الله أن أنس بن مالك ﷺ قال له : « خذ عني فإنك لن تأخذ عن أحد أوثق مني ، **أخذته عن رسول الله** ﷺ، وأخذه رسول الله ﷺ عن جبريل، وأخذه جبريل عن الله عز وجل »[2] .

كيفية إقراء النبي ﷺ الصحابة :

اتخذ هذا المستوى من الإقراء صورتي :

✓ **المشافهة والسماع المباشر** من الرسول ﷺ، تدل عليها صراحة عبارات : « **فاه إلى في** » ، «**أَخَذْتُهُ مِنْ فِي** رَسُولِ الله ﷺ»، «**أخذته عن** رسول الله ﷺ »، «**سمعت** »، « **عن لسان** رسول الله ﷺ»، « كنت **أسمع** قراءة النبي ﷺ».

✓ **الاستقراء والعرض** : لم يكن الصحابة يكتفون بالسماع ولكن كانوا أيضا **يعرضون قراءتهم** على رسول الله ﷺ **فيزكيها**، والنصوص السابقة شاهد على ذلك ، ومن ذلك أيضا استقراؤه صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة ، أي أنه عليه الصلاة والسلام كان يطلب من بعضهم أن يعرضوا عليه قراءتهم ، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ القرآن ، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ !قال : « فإني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[3] ، قال :

---

(1) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

(2) أخرجه الترمذي .

(3) سورة النساء الآية 41 .

« حسبك الآن " فالتفت فإذا عيناه تذرفان »[1] ، وعن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال: «أُتِيَ بي عند مقدم رسول الله ﷺ المدينة فقالوا : « يا رسول الله هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة ، فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك»[2]، وفي رواية : « **فاستقرأني فقرأت** سورة ق »[3]، وعن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال: « كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ **وهو يملي عليّ** فإذا فرغت قال : **اقرأه فأقرؤه** فإن كان فيه سقط أقامه »[4].

كما كان عليه الصلاة والسلام يسمع قراءة بعضهم ـ **دون علمهم أنه يسمعهم**ـ، ثم يثني على قراءتهم ، ومن ذلك ما حدث مع أبي موسى الأشعري ﷺ ، وهو القائل : «قال رسول الله ﷺ: « **لو رأيتني** البارحة وأنا أسمع لقراءتك، لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود »»[5]، وفي رواية : «قلت: والله يا رسول الله **لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيرا** »[6]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال : «قعد أبو موسى ﷺ في بيته، واجتمع إليه ناس ، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن ، قال : فأتى رسول الله ﷺ رجل ، فقال : يا رسول الله ألا أُعَجِّبك من أبي موسى ، قعد في بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن ، فقال رسول الله ﷺ: **أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني أحد منهم ؟** قال: نعم ، فخرج رسول الله ﷺ **فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد**، فسمع قراءة

---

(1) أخرجه البخاري .
(2) أخرجه أحمد والحاكم .
(3) فتح الباري، د 13 ص 186 .
(4) أخرجه الطبراني، والهيثمي في مجمع الزوائد.
(5) أخرجه البخاري ومسلم .
(6) أخرجه البيهقي في السنن .

أبي موسى فقال : إنه يقرأ على مزمار من مزامير آل داود »[1]، **وفي هاتين الروايتين دلالة صريحة واضحة على أمانة الصحابة الكرام** ، فهم لم يكونوا يتبعون القراءة النبوية في حضرته فحسب، حتى إذا خلا أحدهم قرأ كما حلا له ـحاشاهم ﷺجميعا وأرضاهم ـــ بل كانوا متمسكين بالكتاب كما أنزل في الغيبة والحضرة النبوية الشريفة، **وهي رواية تنفي نفيا قاطعا تصرف الصحابة الكرام في القرآن الكريم ، وتأتي على هذه الدعوى المغرضة الباطلة من القواعد**[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتعمد سماع قراءة الصحابة ـ دون علمهم ـ اختبارا لأمانتهم القرائية ، وإنما كان يقصد صلى الله عليه وسلم الاطمئنان على مستوى الإتقان في الأداء .

مقصده :

للإقراء في هذا المستوى المقاصد الآتية :

أولا : مقصد تبليغي

أقرأ رسول الله ﷺ الصحابة الكرام ـ وغيرهم ـ القرآن الكريم بمقتضى واجب الرسالة ؛ التي أمر بتبليغها للناس كافة ، قال الله تعالى : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ**﴾[3] .

(1) أخرجه أبو يعلى ، وإسناده حسن ، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج 9 ص 601 .
(2) راجع كتاب التونسي..... الحبيب العلاني
(3) سورة المائدة من الآية 67 .

وقال الله تعالى أيضا : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[1] .

وقد بلغ عليه الصلاة والسلام رسالة ربه بمنتهى الإخلاص والأمانة، فكان أن أثمرت جهوده صلى الله عليه وسلم بأن أسلم الكثيرون عند سماعهم قراءته آي القرآن الكريم ، والروايات في ذلك كثيرة منها :

1ـ إسلام الطفيل بن عمرو ﷺ: الذي قال راويا قصة إسلامه : « ... فقلت يا محمد: إن قومك قالوا لي كذا وكذا، فو الله ما برحوا يخوفونني حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعت قولا حسنا ، فاعرض عليّ أمرك ، فعرض عليّ الإسلام ، **وتلا القرآن** ، فو الله ما سمعت قولا قط أحسن ، ولا أمرا أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ... »[2] .

2ـ إسلام جبير بن مطعم ﷺ: وهو الذي قال : « **سمعت** رسول الله ﷺ **يقرأ في المغرب بالطور** ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي »[3] .

3ـ أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس رضي الله عنهما : أخرج ابن سعد عن خبيب بن عبد الرحمن قال : خرج أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس إلى مكة يتحاكمان إلى عتبة بن ربيعة ، فسمعا برسول الله ﷺ فأتياه ، فعرض عليهما الإسلام ،

---

(1) سورة النمل الآية 91 ـ 92 .

(2) إتحاف الورى بأخبار أم القرى 1 ص 254 ، والسيرة النبوية لابن هشام 1 ص 256 .

(3) أخرجه البخاري رقم 3798 .

وقرأ عليهما القرآن فأسلما ولم يقربا عتبة بن ربيعة ، ورجعا إلى المدينة ، فكانا أول من قدم بالإسلام بالمدينة »[1] .

4ـ أبو ذر الغفاري : أقبل على النبي ﷺ؛ قبل إسلامه فقال له : « أنشدني ما تقول، فقال صلى الله عليه وسلم، ما أقول الشعر ولكنه القرآن، وما أنا قلته ولكن الله قاله، قال: اقرأ عليّ، **فقرأ عليه صلى الله عليه وسلم سورة من القرآن** ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله »[2].

ثانيا :مقصد تعليمي تربوي

والبعد التعليمي التربوي في الإقراء يشهد له قوله تعالى :

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾[3].

وقوله تعالى :

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[4].

(1) حياة الصحابة، ابن سعد ، ج 1 ص 86 .
(2) الطبقات الكبرى، ابن سعد ، ج 4 ص 168 .
(3) سورة البقرة الآية 151 .
(4) سورة آل عمران الآية 164.

وقوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

تدلل الآيات الكريمة السابقة على أن البعد التعليمي غير قاصر على الحروف وإنما يتعداها إلى تعليم الأحكام والحدود ، وإلى تزكية النفوس وتطهيرها .

وقد أفلح عليه الصلاة والسلام في تحقيق هذا المقصد ـ بشقيه التعليمي والتربوي ـ ونجح فيه أيما نجاح :

➢ **ففي الجانب التعليمي الصرف** ، استطاع عليه الصلاة والسلام تخريج كوكبة ممن سموا بالقراء، كل فرد منهم يعد مدرسة قرآنية قائمة بذاتها ، ومن علامات ودلائل نجابة ذلك الجيل أنهم كانوا يصفون قراءة الرسول ﷺ وصفا ، ويذكرون بعض ظروفها ، وهذه روايات تؤكد ذلك :

1ـ عن قتادة قال : « سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ ؟ فقال: كان يمد مدا»[2] .

2ـ عن عبد الله بن مغفل ﷺ قال : رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته من سورة الفتح قراءة لينة ، يقرأ وهو يرجع[3] »[4] .

---

(1) سورة الجمعة الآية 2 .

(2) أخرجه البخاري رقم 4758 .

(3) الترجيع ترديد القارئ الحرف في الحلق ، والمراد به إشباع المد . ينظر فتح الباري ، العسقلاني ، ج 9 ص 92 .

(4) أخرجه البخاري رقم 4760 .

➢ **وفي الجانب التربوي**، استطاع عليه الصلاة والسلام أن يخرج خير أمة ، شهد لها بالخيرية ربها تبارك وتعالى ، وقد قيل : لو لم يكن لرسول الله ﷺ من معجزة سوى أصحابه لكفت، ولو أنه استطاع أن يجمع القبائل المتفرقة المتناحرة، ويجعل منهم أمة واحدة لكان هذا كافيا للدلالة على نجاحه ، فكيف وقد جعل منهم خير أمة ؟

ثالثا :مقصد توثيقي

مقصدٌمن الأهمية بمكانمن إقراء الرسول ﷺ الصحابة واستقرائهم توثيق النص القرآني بتثبيت ألفاظه وكيفيات أدائها المنزلة .

ملحوظة :

لم يقتصر توثيق النص القرآني في العهد النبوي على المشافهة ولكن تم الاستعانة بالكتابة والتدوين،وتدوين القرآن الكريم فور نزوله ـ أي في عهده ﷺ وبحضرته الشريفة ـ لم يكن خافيا ؛ وليس لأحد القدرة على إنكاره ، فمن الأدلة على ذلك ما رواه الحاكم عن زيد بن ثابت أنه قال : « كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع»[1]، وعنه أيضا أنه قال : « كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ **وهو يملي عليّ** فإذا فرغت قال : **اقرأه فأقرؤه** فإن كان فيه سقط أقامه »[2] ، وعن البراء أنه قال : نزلت : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » قال النبي ﷺ ادع لي زيدا

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك ، ج 2 ص 249 ، وصحح الذهبي .
(2) أخرجه الطبراني والهيثمي في مجمع الزوائد .

وليجئ باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة ثم قال : اكتب لا يستوي القاعدون»[1] .

وكما عرف من الصحابة القُرَّاء ؛ عرف منهم كُتَّاب الوحي[2] ، وهذا خلافا لما يزعمه بعض المستشرقين أمثال أرثر جفري[3] ، ومن تبعهم ممن نسبوا ــ خطأ ـ للفكر والحداثة ، قال عبد المجيد الشرفي : « فلفظ القرآن لا يصح أن يطلق حقيقة إلا على الرسالة الشفوية التي بلغها الرسول إلى الجماعة التي عاصرته ، أما ما جمع بعد وفاته في ترتيب مخصوص ودُوّنَ بين دفتين ، فمن المعروف أن الصحابة أنفسهم لم يكونوا في البداية متفقين حول مشروعية هذا الجمع الذي لم يقم به النبي ولم يأمر به ، وترددوا حتى في الاسم الذي سيطلقونه على هذه الظاهرة قبل أن يستقر الأمر على نعتها بـ «المصحف »، أسوة فيما تقول الأخبار بما عرفه بعضهم عند الحبشة ، ثم كان توحيد رواية هذه المدونة بقرار سياسي في عهد عثمان حين جمع الناس على مصحف واحد وأحرق المصاحف غير الرسمية خوفا من أن يختلف المسلمون في كتابهم اختلاف اليهود والنصارى ...»[4] .

---

(1) أخرجه البخاري .

(2) ينظر كُتَّاب النبي ﷺ في فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، ج 8 ص 713 وتاريخ القرآن ، محمد سالم محيسن ، ص 129 - 130 .

(3) رد عليه وفند قوله عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر ، في مقدمة كتابهما معجم القراءات القرآنية .

(4) الإسلام بين الرسالة والتاريخ ، عبد المجيد الشرفي ، ص 49 ـ 50 .

الرابع : **إقراء الصحابة بعضهم بعضا** ، ويؤيده من النصوص ؛ الآتي :

1ـ عن ابن عباس ﷺ قال : « كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف »[1] .

2ـ عن زيد بن أرقم ﷺ قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : **أقرأني** ابن مسعود سورة ، **وأقرأنيها** أبيّ بن كعب فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ؟ فسكت رسول الله ﷺ وعليّ إلى جانبه، فقال : **ليقرأ** كل إنسان منكم كما **عُلِّم** فإنه حسن جميل ... »[2] .

3ـ عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : « كان رسول الله ﷺ يُشْغَل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ، دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن»[3].

4ـ وعن عبادة بن الصامت ﷺ أيضا ، قال : « كان رسول الله ﷺ إذا قدم إليه الرجل مهاجرا دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إليّ رسول الله ﷺ رجلا وكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت وأقرئه القرآن »[4] .

5ـ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « جاء معاذ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أقرئني ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أقرئه »، فأقرأته ما كان معي، ثم اختلفت ـ

---

(1) أخرجه البخاري .

(2) أخرجه الطبري والطبراني .

(3) أخرجه الإمام أحمد والحاكم على شرط الصحيحين ووافقه الذهبي .

(4) أخرجه أحمد والحاكم وصححه الذهبي .

ذهبت ـ أنا وهو إلى رسول الله ﷺ، فقرأ معاذ ، وكان معلما من المعلمين على عهد رسول الله ﷺ»[1] .

6ـ « عن سهل بن سعد الأنصاري قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقترئ يقرئ بعضنا بعضا ، فقال : الحمد لله كتاب الله عز وجل واحد فيه الأحمر والأسود ، اقرأوا القرآن، اقرأوا قبل أن يجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح ، لا يجاوز تراقيهم ، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه »[2] .

كيفية إقراء الصحابة بعضهم بعضا :

اتخذ إقراء الصحابة بعضهم بعضا صورة :

✓ المشافهة ـ عرضا وسماعا ـ : وهي الكيفية الأساسية والعمدة في تحمل وأداء القرآن الكريم.

✓ الاستعانة بالمكتوب : كانت الكتابة حاضرة في إقراء الصحابة بعضهم بعضا في العهد النبوي ـ وهذا ما ينسف أيضا فرية منكري التوثيق الكتابي للقرآن الكريم في العهد النبوي ـ، ويشهد لذلك الرواية الشهيرة لإسلام عمر بن الخطاب ﷺ وأنه وجد عند أخته وزوجها صحيفة فيها سورة « طه »[3]، ووجود هذه الصحيفة القرآنية لا ينفي أبدا وجود غيرها من الصحف عند صحابة آخرين ؛ تحمل سورا أخرى من القرآن الكريم .

---

(1) منتخب كنز العمال على هامش مسند الإمام أحمد .

(2) فضائل القرآن، أبو عبيد ، ص 28 .

(3) ينظر السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج 1 ص 344 .

مقاصد إقراء الصحابة بعضهم بعضا هي :

مقصد تَعلُّمي تعليمي :لما كان القرآن الكريم رسالة الله تعالى للعالمين ، وآيه هداية شاملة للناس كافة ، فقد أقبل الصحابة الكرام على تعلمه وتعليمه بإخلاص ومحبة وهمة عالية ، قال رسول الله ﷺ: « تعلموا القرآن فاقرؤوه وأقرئوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح بريحه كل مكان ، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب وكئ على مسك »[1]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئا فليفعل »[2].

مقصد تبليغي:أقرأ الصحابة بعضهم بعضا من باب الإسهام في تبليغ رسالة الله تعالى ، والاستجابة لأمر رسول الله ﷺ: « **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً** »[3] .

مقصد تعبدي : ويتمثل في :

1ـ السعي لبلوغ مقام الخيرية : دأبُ الصحابة الكرام التنافسُ في الخير، وبلوغُ الخيرية ، وتعلم وتعليم القرآن الكريم سبيل إلى ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[4].

2ـ السعي لتحصيل فضائل القرآن الكريم[5] بمذاكرة ومدارسة القرآن .

---

(1) أخرجه الترمذي رقم 2876 والنسائي رقم 8749 وابن ماجه 217 .

(2) أخرجه الطبراني .

(3) أخرجه البخاري رقم 3274 .

(4) أخرجه البخاري .

(5) ينظر زاد المقرئين ، ص 23 وما بعدها .

3ـ تحصيل الأجر والثواب على تعلمه وعلى تعليمه .

مقصد توثيقي : والمقصد التوثيقي حاضر أيضا في إقراء الصحابة الكرام بعضهم بعضا ، ويظهر من خلال سؤال بعضهم بعضا عن كيفية قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفها بدقة هي ـ القراءة ـ وملابساتها وظروفها .

المطلب الثالث: مقتضيات إقراء النبي ﷺ الصحابة

يقتضي إقراء النبي ﷺ الصحابة أمورا معينة هي :

أولا :الحضور بين يدي رسول الله ﷺ والأخذ عنه مباشرة ، وقد أحصى الذهبي من الصحابة الذين نالوا هذه المكرمة ـ لكل القرآن الكريم أو معظمه ـ؛ سبعة ، وأوصلهم محمد حسن جبل إلى ثلاثة عشر صحابيا[1]، وأما من أخذوا عنه صلى الله عليه وسلم دون ذلك فيزيدون عن ذلك بكثير[2].

ثانيا : السماع والمشافهة .

ثالثا : الاستقراء والعرض .

وكل هذه العناصر المذكورة توفرت في الإقراء النبوي للصحابة الكرام وقد تقدم بيانها مع أدلتها .

وفضلا عما تقدم فثمة مقتضيات منهجية قرائية تستفاد من الإقراء النبوي للصحابة الكرام؛ تتمثل في :

---

(1) وثاقة النص القرآني ، محمد حسن جبل ، ص 17 .

(2) ينظر تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم ، عبد السلام المجيدي ، ص 386 وما بعدها.

أولا : وجوب العناية بالقرآن الكريم تلقيا وأداء واتباع المنهج النبوي في ذلك، وأخذ النفس بشدة، وفي حديث المعالجة والتعتعة شاهد على ضرورة ركوب الصعب من أجل تحصيل القرآن الكريم[1] .

ثانيا : الحرص على اتباع المنهج القرآني التربوي التعليمي الذي اعتمده رسول الله ﷺ القائم على :

1ـ الحرص على إقامة الحروف والمبالغة في إعطائها حقها مع الاجتهاد في تحسين الصوت بها .

2ـ تدبر المعاني وطلب فهمها ، وإقامة الحدود .

3ـ الثناء على القراءة المتقنة تشجيعا لصاحبها وترغيبا في المزيد، قال عليه الصلاة والسلام : «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم عليّ بن أبي طالب ، **وأقرؤهم لكتاب الله أبيّ بن كعب** »[2].

4ـ اعتماد منهج ترغيبي تدرجي .

5ـ اعتماد منهج المدارسة والتعاهد السنوي؛ وأفضلها في رمضان .

ثالثا : تخصيص ذوي الكفاءات القرائية بالقراءة والسماع ، ومن ذلك :

تخصيص أبيّ بالإقراء، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: « قال النبي ﷺ لأبيّ: « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، قال أبيّ : آالله سماني لك ؟ قال : الله سماك لي ، فجعل

(1) ينظر تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم ، عبد السلام المجيدي ، ص 110، وإقراء القرآن الكريم ، ص 35.
(2) أخرجه ابن ماجه ح 145 ، ج 1 ص 55 وصححه الألباني .

أبيّ يبكي ، قال قتادة : فأنبئت أنه قرأ عليه : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[1]»[2].

وتخصيص عبد الله بن مسعود بالقراءة فعنه ﷺ قال : « قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ القرآن »، قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ !قال : « فإني أحب أن أسمعه من غيري ...»[3].

ويحصل بهذا التخصيص إعداد المدارس القرائية الكفأة التي تتولى لاحقا مهمة الإقراء .

رابعا : الدلالة على الكفاءات القرائية والتعريف بها كي تقصد للأخذ عنها ، قال رسول الله ﷺ:«خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب »[4].

خامسا : ضرورة إجراء زيارات تفقد فجائية خفية للمدارس القرآنية من قبل المشرفين عليها، بقصد الاطمئنان على درجة اتباع السنة القرائية ومستوى الإتقان في الأداء .

---

(1) سورة البينة من الآية 1 .

(2) أخرجه البخاري رقم 4676 ومسلم رقم 799 .

(3) أخرجه البخاري رقم 4306 ـ 4763 ـ 4768 .

(4) أخرجه البخاري رقم 3597 .

المبحث الثاني : إقرار النبي ﷺ قراءات الصحابة عليهم الرضوان : المفهوم والمقتضيات

المطلب الأول : مفهوم الإقرار

الإقرار لغة: الإذعان للحق[1]، والاعتراف به[2]، وهو ضد الجحود[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[4]، وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[5].

اصطلاحا :

لم أقف فيما بين يدي من مراجع ودراسات على تعريف اصطلاحي للإقرار النبوي ذي الصلة بالقراءات القرآنية، والمتوفر كلمات وجمل متفرقات وردت في سياقات متعددة، لم يكن القصد فيها تقديم تعريف للإقرار القرائي النبوي، وفيما يلي ذكر لبعضها :

---

(1) القاموس المحيط، الفيروز أبادي ، ص 485 .
(2) لسان العرب، ابن منظور ، ج 5 ص 3582 .
(3) معجم مقاييس اللغة ، ج 5 ص 8 .
(4) سورة البقرة الآية 84 .
(5) سورة آل عمران الآية من 81 .

قال **عبد الهادي الفضلي** :

«ما ثبت يقينا أن النبي ﷺ قرأ به أو **أقر من قرأ به أمامه** ، ولم يكن متوفرا على الشرطين الآخرين (أعني موافقة العربية ومطابقة الرسم)، لا نستطيع عده غير قرآن لأن النبي ﷺ لا يقرأ بغير القرآن في موضع القرآن ... ومتى اقترن بما يوجب القطع بصدوره عن النبي ﷺ **فعلا أو تقريرا فهو قرآن** ، إلا أنه لا يقرأ به للعلة التي دعت إلى رفض الشاذ وهي المحافظة على نص القرآن »[1] .

وقال **عبد القيوم السندي** :

« أما الخلافات الأصولية فهي وإن كانت من قبيل اختلاف اللهجات ولكنها من النوع الذي **أمضاه** الرسول ﷺ تيسيرا وتوسعة على الأمة ، ومع ذلك فمصدره هو الرواية والنقل ، وليس الاجتهاد أو القياس »[2] .

وقال **عبد الهادي حميتو**:

«لاشك أن الإحساس بالحاجة إلى قراءة واحدة جامعة بدأ يظهر منذ أيام الخلفاء الراشدين، ولكن كثرة القراءات المأثورة في حروف القرآن مما كان يقرأ به الصحابة **انطلاقا من الرخصة في ذلك مما أقره النبي ﷺ وأذن فيه** وانطلاقا من الحديث الشريف: « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا كما علمتم»، كان يحول دون قيام هذا المشروع »[3] .

---

(1) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ، عبد الهادي الفضلي، ص 75 .

(2) صفحات في علوم القراءات ، عبد القيوم عبد الغفور السندي، ص 118 .

(3) قراءة نافع ، عبد الهادي حميتو ، ص 94 .

وقال **محمد حسن جبل** :

« وتفسير ما قد يوجد من روايات باختلاف كلمات من قراءة بعض من رجال هذه الطبقة عن نظائرها من قراءة غيره هو نزول القرآن على سبعة أحرف، فكان الرسول ﷺ ربما أقرأ هذا بحرف ما (كلمة في آية) غير الحرف الذي أقرأ به الآخر وربما وقع ذلك **إقرارا أو إجازة**، والكل منزل من الله على رسوله ﷺ»[1]، وقال في موضع آخر : «ثم إن بعض الصحابة يتلقى من النبي ﷺ هذا اللفظ **أو يجيزه صلى الله عليه وسلم له** ، ويتلقى بعض آخر منهم اللفظ بالصورة الأخرى ، أو **يجاز له** »[2].

وقال **دخيل بن عبد الله الدخيل** :

« فبعض الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يأتون الرسول ﷺ متحاكمين في اختلافات وقعت بينهم بسبب قراءة أحدهم قراءة لم يسمعها الآخر من النبي ﷺ، فيظن كل منهما أنه صاحب القراءة الصحيحة، لكونه واثقا تمام الثقة من نفسه بأن الرسول ﷺ قد لقنه إياها، وأقرأه على هذا الحرف، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن يبادر إلى الاستماع لقراءة كل منهما على حدة ثم **يُقِرُّ كليهما**، وما ذلك إلا لأن القرآن أنزل على سبعة أحرف »[3] .

---

(1) وثاقة النص القرآني ، محمد حسن جبل ، ص 50 .

(2) المرجع نفسه ، ص 152 .

(3) إقراء القرآن الكريم ، دخيل بن عبد الله الدخيل ، ص 64 .

ملحوظات :

بتأمل الأقوال السابقة يمكن تسجيل الملحوظات الآتية :

1ـ الإقرار القرائي صادر عن رسول الله ﷺ للصحابة الكرام .

2ـ الإقرار القرائي كان لمن قرأ على **حروف ووجوه قرائية منزلة**ـ فالنبي ﷺلا يقرأ ولا يقر على القراءة على غير القرآن في موضع القرآن -، وهي من جملة الأحرف السبعة المذكورة في الحديث، ويجوز أن يكون بعضها ـــوجوه القراءةـــ؛ قد نسخ في العرضة الأخيرة.

3ـ وقع الإقرار النبوي للصحابة بخصوص وجوه قرائية بعد خلافات وقعت بينهم بسببها، وهو الأمر الذي يثبت أن القراءة سنة متبعة ـ ولا مجال للرأي والاجتهاد فيها ـ وما كان الصحابة الكرام ليتساهلوا بشأنها.

4ـ استعمل بعضهم لفظ الإجازة بدل الإقرار.

وبناء على ذلك يمكن **تعريف الإقرار القرائي النبوي بـ :**

أن يقرأ أحد من الصحابة الكرام على رسول الله ﷺ حروفا من القرآن الكريم ـ كان قد أخذها سماعا ومشافهة عنه صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه عليهم الرضوان ممن أخذوا عنه صلى الله عليه وسلم ـ **فيُقِرُّه على قراءته**، ويُصَوِّبُها لكونها من الأحرف السبعة المنزلة.

المطلب الثاني: صيغ الإقرار النبوي:

اتخذ إقرار الرسول ﷺ على قراءات الصحابة صيغا متعددة منها :

أولا :« **كَذِلِكَ أُنْزِلَتْ**» و« **هَكَذَا أُنْزِلَتْ** »، وهي الواردة في الحديث السابق : « ... **فقرأ** عليه **القراءة** التي سمعته **يقرأ** ، فقال رسول الله ﷺ» **كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ**»[1] .. ثم قال : «**اقرأ** يا عمر » .. **فقرأت القراءة** التي **أقرأني** ، فقال رسول ﷺ : «**كَـذَلِكَ أُنْزِلَـتْ** .. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، **فاقرأوا** ما تيسر منه»»[2] .

ثانيا :« **أَصَابُوا** »، و«**أَصَبْتُمْ**»، وقد وردت الأولى في الحديث السابق :«... ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن **تقرئ أمتك** القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف **قرأوا** عليه فقد **أَصَابُوا** .. »[3]، والثانية فيما روي عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلا **قرأ** آية من القرآن فقال له عمرو : إنما هي كذا وكذا بغير ما **قرأ** الرجل ، فقال الرجل : هكذا **أقرأنيها** رسول الله ﷺ، فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه فذكرا ذلك له ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فأي ذلك **قرأتم أصبتم** ، فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر»[4] .

ثالثا :« **فَحَسَّنَ** » ، و« **حَسَنٌ جَمِيلٌ** »، وشاهد الأولى ما روي عن أبيّ بن كعب ﷺ، قال : كنت في المسجد فدخل رجل يصلي **فقرأ قراءة** أنكرتها عليه، ثم دخل آخر **فقرأ**

---

(1) وفي رواية : « هكذا أنزلت » .

(2) أخرجه البخاري ومسلم .

(3) رواه مسلم وأبو داود والنسائي .

(4) رواه النسائي وأحمد .

قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا **قرأ قراءة** أنكرتها عليه ودخل آخر **فقرأ** سوى **قراءة** صاحبه ، فأمرهما رسول الله ﷺ **فقرآ** ، **فَحَسَّنَ** النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي- من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني، ضرب على صدري ففضت عرقا، وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقا ... فقال لي : «يا أبيّ ، أرسل إليّ أن **أقرأ** القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلى الثانية **اقرأه** على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي ، فرد إليّ الثالثة **اقرأه** على سبعة أحرف ... »[1]، وشاهد الثانية الحديث السابق: « ...**ليقرأ** كل إنسان منكم كما **عُلِّم** فإنه **حَسَنٌ جَمِيلٌ** ... »[2].

رابعا : « **فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ** »، وهي الواردة في الحديث السابق : « ... فقرأت على رسول الله ﷺ **فأعجبه ذلك** »[3] .

وفي الصيغ السابقة إظهار الإعجاب بالمقروء، والحكم على القراءة **بالصواب أو الحسن أو الجمال**، وكان ذلك دليلا على موافقة التنزيل والسنة القرائية ، ودليل الاتباع وانتفاء الابتداع .

---

(1) رواه مسلم وأحمد .

(2) أخرجه الطبري والطبراني .

(3) أخرجه أحمد والحاكم وصححه ، وأبو داود والبخاري مختصرا في الأحكام .

المطلب الثالث : مقتضيات الإقرار القرائي النبوي:

يقتضي إقرار الرسول ﷺ بعض الصحابة على قراءاتهم الآتي :

أولا :إما الحضور بين يدي رسول الله ﷺ والسماع منه مباشرة القرآن الكريم على أحرف معينة ، ثم إقرارهم على صحة ما قرأوا حال الاختلاف .

ثانيا : أو أخذ بعض الصحابة من بعضهم ، حتى إذا اختلفوا في بعض الحروف ورفعوا أمرهم إلى رسول الله ﷺ **أقرهم** ، فكان ذلك **الإقرار** تأكيدا على أن الحروف التي قرأها كل فريق **هي مما أنزل** ، وهي من الأحرف السبعة .

الفرق بين الإقراء والإقرار :

بناء على ما تقدم يمكن أن نلحظ أوجه الاتفاق والافتراق بين الإقراء والإقرار النبوي فيما يتعلق بأحرف القرآن الكريم ، والتي يمكن إجمالها في :

أولا : أوجه الاتفاق

الإقراء والإقرار كل منهما آلية من آليات توثيق النص القرآني ، بها تم حصر وبيان أوجه قراءة القرآن الكريم المنزلة ، واستبعاد غيرها .

وليس ثمة فرق بين أخذ القرآن الكريم من الرسول ﷺ مباشرة ؛ وأخذ بعض الصحابة من بعض، ولم يؤثر ذلك أبدا على طبيعة وحقيقة القرآن الكريم المنزل، وينحصر الفرق بين صورتي التلقي في فوات شرف الأخذ المباشر منه صلى الله عليه وسلم .

إن القرآن الكريم المأخوذ عن الصحابة هو ذاته المأخوذ عن النبي ﷺ المأخوذ عن جبريل عليه السلام ، المأخوذ عن رب العزة تبارك وتعالى ؛ من دون تغيير ولا تبديل ، يؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يقرأ القرآن **غضا كما أنزل** فليقرأ قراءة ابن أم عبد»وقوله عليه الصلاة والسلام أيضا : «خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب »[1]، وفي الحديثين تزكية واضحة لقراءة الصحابة ، ودلالة بينة على الاتباع وعدم مخالفة التنزيل . **وهذا خلافا لما يزعمه بعضهم ؛ ممن يدعون بالحداثيين من أن النص القرآني الأصلي لا وجود له** ، وقد ضاع تماما لاسيما أن كل نص ينتقل من الحالة الشفوية إلى الكتابية إلا ويفقد أصالته ويعتريه التغيير ، يقول محمد أركون ــ كبير القراء الحداثيين ـ : « هناك أشياء تضيع أو تتحور في أثناء الانتقال من المرحلة الشفهية إلى المرحلة الكتابية »[2]، ويضيف في موضع آخر : « بعض المواد أو الوثائق الأساسية أو الضرورية للتوصل إلى معرفة صحيحة بالقرآن قد اندثر إلى غير رجعة ، فإنه ينبغي علينا أن نعترف بأن أي إعادة قراءة لا يمكنها أن تتوصل إلى المعنى الحقيقي التاريخي الكامل للعبارات اللغوية القرآنية »[3].

(1) أخرجه البخاري رقم 3597 .

(2) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، محمد أركون ، ترجمة هشام صالح ، دار الساقي ، بيروت لبنان ، ط 1 سنة 1999 م ، ص 53 .

(3) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون ، ص 78 .

ثانيا : أوجه الافتراق

➢ ليس كل من أُقِرَّت قراءته وصوبت ووصفت بالحسن ، قد قرأ على رسول الله ﷺ شخصيا، وإنما منهم من قرأ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومنهم من قرأ على بعض صحابته .

➢ الإقرار متأخر زمنيا عن الإقراء وتابع له ؛ فلا إقرار على وجه قرائي إلا بعد إقراء فعلي بتلق وسماع وأخذ مباشر من الرسول ﷺ، أو الأخذ عن بعض الصحابة الكرام عليهم الرضوان .

ملحوظة هامة جدا :

أقر الرسول ﷺ الصحابة ، وصوب قراءتهم ـ سواء كانوا ممن قرأوا عليه أو قرأوا على بعض صحابته ـ، الموافِقة لما نزل من الأحرف السبعة ولم يكن الإقرار خارج الأحرف السبعة مطلقا، بمعنى لم يكن الرسول ﷺ يصوب كل قراءة، ويجيز ويأذن لكل قارئ يقرأ بين يديه أن يقرأ أنَّى شاء[1]، وهو الرسول الأمين على الوحي، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ

(1) يذكر هنا أن بعض المتقدمين اختلفوا بشأن تعدد القراءات ، أقال بها الله تعالى جميعا ؛ أم قال ببعضها ؛ وأذن ببعضها الآخر ، قال الزركشي : « فاختلفوا في الآية إذا قرئت بقراءتين على قولين: أحدهما أن الله تعالى قال بهما جميعا والثاني أن الله تعالى قال بقراءة واحدة إلا أنه أذن أن يقرأ بقراءتين ... ثم اختاروا في المسألة توسطا ، وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعا وتصير القراءات بمنزلة آيتين مثل قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، وإن كان تفسيرها واحد كالبُيوت والبِيوت والمحصِنات والمحصَنات بالنصب والجر ، إنما قال بأحدهما وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعود لسانها » البرهان ، ج 1 ص 326 – 327، والقول بأن بعض القراءات أنزل وبعضها الآخر أذن به ترده الأحاديث الصريحة ؛ التي تنص على أن القراءات القرآنية جميعها منزلة من عند الله تعالى .

إِلَىٰ ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[2].

ومن تمام أمانة النبي ﷺ في حفظ الوحي أنه لم يكن يجيز ويقر إلا من قرأ وأصاب ، حتى إذا وجد صلى الله عليه وسلم لحنا في قراءة بعضهم نبه إلى ذلك وقال : «أرشدوا أخاكم »[3] ، وهذا خلافا تماما لما ذهب إليه بعض الباحثين ، ومن ذلك قول بعضهم : «كان بعض الصحابة يقرأ بين يدي النبي ﷺ بما لان به لسانه فيجيزه »، وربما قال بعضهم متحدثا عن تعدد القراءات : «وكان ذلك مما قرأه النبي صلى الله عليه أو أذن به »، فيطلقون القول[4] ، ويدعون مجالا للتأويل، الذي يسمح بإمكانية تسرب أوجه قرائية غير منزلة . وحاول بعضهم الاستدراك على هذا القول فبين أن الإذن على هذا النحو، ربما جاز في الأصول مما له صلة باللهجات ـ فتحا وإمالة ، همزا وتخفيفا مدا وقصرا ... ولا يؤثر في المعنى ـ، لكنه لا يستقيم أبدا مع الفرش، حيث يظهر التبديل الواضح للتنزيل، والحقيقة أن هذا الاستدراك عليه استدراك أيضا، فأوجه القرآن القرائية أصولها وفرشها كلها لا تؤخذ إلا بالتلقي، ذلك أن الحروف المختلف فيها بين الصحابة غير محددة وغير معينة، والأغلب بل الأكيد أن بعضها يعود إلى الأصول وبعضها الآخر يعود إلى الفرش، فعن قتادة قال : « سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ؟ فقال : كان يمد مدا »[5] ، والمد واحد من أبواب الأصول .

---

(1) سورة يونس من الآية 15 .

(2) سورة الحاقة الآيات من 44 إلى 47 .

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

(4) تردد هذا الإطلاق ونحوه عند بعض الباحثين في أبحاثهم ، وفي جلسات مناقشة أطروحاتهم .

(5) أخرجه البخاري رقم 4758 .

ثم إن تقسيم القراءات إلى أصول وفرش تقسيم اصطلاحي تصنيفي ليس إلا، والقراءات القرآنية كلها بأصولها وفرشها توقيفية منقولة كلها بالتواتر، قال ابن الجزري: « أما من قال بتواتر الفرش دون الأصول فابن الحاجب، قال في مختصر الأصول له: «القراءات السبع متواترة فينا ليس من قبيل الأداء كالمد والإمالة وتخفيف الهمز ونحوه»[1]، فزعم أن المد والإمالة وما أشبه ذلك من الأصول كالإدغام وترقيق الراءات وتفخيم اللامات ونقل الحركة وتخفيف الهمزة وغيره من قبيل الأداء، وأنه غير متواتر، وهذا قول **غير صحيح كما سنبينه**[2]... ولما قال ابن السبكي في كتابه جمع الجوامع : « ... فكلامنا قاض بتواتر السبع ، ومن السبع مطلق المد والإمالة وتخفيف الهمز بلا شك »»[3]، قال الدمياطي: « **ثم إن التواتر المذكور شامل للأصول والفرش** ، هذا هو الذي عليه المحققون ، ومخالفة ابن الحاجب في بعض ذلك تعقبها محرر الفن ابن الجزري ، وأطال في كتابه المنجد بما ينبغي الوقوف عليه »[4].

ويرحم الله تعالى ابن حجر إذ تفطن إلى تلك الثغرة ـ القول بالإذن في القراءة من دون تقييد ـ فسدها بقوله : « وتتمة ذلك أن يقال: **إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي** أي أن كل واحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته بل المراعى في ذلك السماع من النبي ﷺ»[5] .

---

(1) شرح المختصر ابن الحاجب ، ج 1 ص 469 .

(2) ثم ذكر ابن الجزري بعدها كلاما مستفيضا في بيان ذلك يستحق الوقوف عليه كاملا ، كما قال الدمياطي.

(3) منجد المقرئين ، ابن الجزري ، ص 93 .

(4) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي ، ج 1 ص 73 .

(5) فتح الباري، ابن حجر، ج 9 ص 27 .

وقال ابن عطية : « فأباح الله تعالى لنبيه ﷺ هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريل عليه السلام في عرضاته على الوجه الذي يظهر فيه الإعجاز وجودة الرصف، **ولم تقع الإباحة في قوله عليه الصلاة والسلام : « فَاقْرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ » بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض اللغات جعلها من تلقاء نفسه،** ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان معرضا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي أنزل من عند الله، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي عليه السلام ليوسع بها على أمته فقرأه مرة لأبيّ بن كعب بما عارضه به جبريل صلوات الله عليهما ، ومرة لعبد الله بن مسعود بما عارضه به أيضا، وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: « أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف »[1]، وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان وقراءة هشام بن حكيم لها، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في كل قراءة منهما وقد اختلفتا : «هكذا أقرأني جبريل » هل ذلك إلا لأنه أقرأه بهذا مرة وبهذا مرة »[2] .

وقال عبد العال سالم مكرم : « وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يختارون من القراءات التي سمعوها ما وافق لهجتهم ، ومن هنا كانت القراءات مرجعها الرواية والنقل عن رسول الله ﷺ، وليس لأحد أن يقرأ بلغته كما يشاء ، ولو كان الأمر كذلك لوجدنا في القراءات العيوب الخاصة في لهجات العرب والتي كان يتجنبها الفصحاء كالكشكشة في ربيعة ومضر والعنعنة في لغة قيس وتميم والفحفحة في لغة هذيل إلخ ... وهذا يدل دلالة واضحة على التقيد بالقراءة المسموعة فحسب »[3] .

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم .

(2) المحرر الوجيز ، ابن عطية ، ج 1 ص 44 .

(3) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية ، عبد العال سالم مكرم ، ص 31 ـ 32 .

خاتمة

هذا وقد خلصت الورقة إلى النتائج الآتية :

1ـ الإقراء والإقرار النبوي كل منهما يعد دليلا ساطعا قاطعا على توقيفية القراءات القرآنية، وما من مجال للقول بخلاف ذلك، فأما دلالة الإقراء على التوقيفية فبينة، تتمثل في الشواهد النصية والروايات التي نقلت الوظيفة التعليمية التلقينية لرسول الله ﷺ، وتؤكدها الدلالة اللغوية للفظ الإقراء الذي يفيد القراءة والحمل عليها في آن، وأما دلالة الإقرار، فتتجلى في كونه صلى الله عليه وسلم وبعد أدائه فعل الإقراء، صوب قراءة بعض من مَثُل بين يديه عند التخاصم بخصوص اختلاف الأوجه، مستعملا في ذلك صيغا لفظية متعددة ـ وأهمها على الإطلاق ـ قوله : « **كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ**» و« **هكذا أنزلت** »، وبها قطع الاحتمال بجواز الاجتهاد في أحرف القرآن الكريم ، في حين أعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض؛ بأن أمر بتعليمهم القراءة الصحيحة مستعملا مصطلح **الإرشاد**، وهو مقابل **الضلال**، وفي ذلك دلالة على أن القراءة بخلاف المُنَزَّلِ ضلالة يجب الحياد عنها، ومن ثم فما من مجال أبدا لتفسير الإقرار النبوي بأنه إذن مطلق بقراءة القرآن الكريم بأية كيفية شاءها صاحبها، أو استسهلها لسانه، وما من مجال للتقول على الصحابة الكرام ، واتهامهم بالتصرف في أوجه القراءات.

2ـ عند استخدام مصطلح الإقرار والإذن النبوي لبعض الصحابة بقراءة بعض الأوجه ، ينبغي أن يردف ببيان المراد من هذا الإقرار والإذن وأنه إذن في حدود الأحرف المنزلة، وليس إذنا مطلقا، وإلا لانتفت توقيفية القراءات وقرآنيتها ، ومن ثم ارتفع إعجازها ، وكان هذا مدخلا للطعن في أصل القراءات ، تماما كمن رد أصل

القراءات إلى الرسم وخصائصه ؛ وفتح بذلك بابا للاستشراق للقول في القراءات بما لا يليق بها ، كما فعل جولد تسيهر في كتابه : «مذاهب التفسير الإسلامي»[1] ، مستفيدا من أقوال بعض المفسرين ومنهم الزمخشري[2]، فَرَدُّ القراءات إلى الرسم في واقع الأمر لم يكن عبقرية استشراقية ولكنها بدعة صدرت عن بعض علماء المسلمين[3].

3ـ ما من سبيل لجعل النزول والتبليغ الصوتي للقرآن الكريم مدخلا للتشكيك في صحة النص القرآني ، بل إن نزوله وتبليغه صوتيا هو الذي حفظ له بعض خصائصه وظواهره الصوتية التي تعجز الكتابة عن تصويرها كالإشمام والروم والإمالة والتفخيم وغيرها، وبحفظ هذه الظواهر حفظت بعض معانيه، والبحث في علاقة الأصوات بالمعاني باب هام جدا، بدأ يأخذ حظا من الأبحاث والدراسات الحديثة ، وقد سبق للإشارة إليه ابن جني إذ خصه بباب في خصائه سماه :

---

(1) وقد رد عليه كثيرون ، منهم عبد الحليم النجار ، في حاشيته على كتابه : « مذاهب التفسير الإسلامي للمستشرق »، وكذا عبد الفتاح عبد الغني القاضي في كتابه : « القراءات في نظر المستشرقين والملحدين »، مؤسسة السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة - مصر ، ط 1 سنة 1426 هـ/ 2005 م ، كتيب جمع فيه صاحبه ادعاءات وافتراءات المستشرق إجنتس جولد تسيهر ، وردّ عليها ردا علميا مؤسسا مفحما.

(2) قال في الكشاف : « وأما قراءة ابن عامر : « قتل أولادهم شركائهم » برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف ، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر ، لكان سمجاً مردوداً، كما سمج وردّ . زَجَّ الْقَلُوصِ أَبِي مَزَادَهْ ، فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته. **والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء** » ج 2 ص 66 .

(3) ينظر القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية ، عبد العال سالم مكرم ، ص 14 ـ 15.

« باب في تصاقب في الألفاظ لتصاقب المعاني »[1]. والعلاقة بين معاني الكلمة ونظامها الصوتي في القرآن الكريم ترقى إلى مستوى الإعجاز فـ« النص القرآني بما فيه من ضوابط ترتيله واختيار لفظه ليعبر تعبيرا إعجازيا دلاليا، جاءت أصواته دالة على واقع حال طواه الزمن كما طوى أهله وشاغله بما شغلوه، وكانت هذه الأصوات ليست دالة على ذلك الواقع وحسب وإنما أقدرتنا على استحضار صور ذلك الزمن السحيق وكأنها شاهد نتفحصه ونقلب فيه النظر والرأي والفكر والتدبر »[2]، بل « كان من فضيلة القرآن الصوتية أن استوعب جميع مظاهر الدلالة في مجالاتها الواسعة، وتمرس في استيفاء وجوه التعبير عنها بمختلف الصور الناطقة »[3].

وقال الزرقاني: «ولقد وصل هذا الجمال اللغوي إلى قمة الإعجاز،بحيث لو دخل في القرآن شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه في أفواه قارئيه، واختل نظامه في آذان سامعيه . ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي وذاك النظام الصوتي، أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية، كانا سورا منيعا لحفظ القرآن من جهة أخرى ...»[4] .

4ـ السماع والمشافهة والاستقراء والعرض ؛ هي كيفيات تلقي القرآن الكريم في العهد النبوي ، وهي العمدة في تحمل وأداء القرآن الكريم ، وقد ضمنت نقله للعالمين غضا كما أنزل؛ من دون تبديل ولا تحريف، ولقد كانت الكتابة أيضا حاضرة في العهد النبوي، وفي ذلك زيادة في توثيق النص القرآني، ليتحقق بذلك الوعد الإلهي بحفظ

(1) الخصائص ، ابن جني ، ج 2 ص 145 .
(2) الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم ، محمد فريد عبد الله ، ص 100 .
(3) القراء والانسجام الصوتي ، نجيب العماري ، ص 110 .
(4) مناهل العرفان ، الزرقاني ، ج 2 ص 244 وما بعدها .

كتابه، هذا خلافا تماما لما يحاول أن يثيره الشاكون المشككون بين الحين والآخر، وسيبقى القرآن الكريم عصيا على المعارضة والنقض، وسيبقى المعجزة المتعددة الخالدة والمتجددة، ولن تصب جهود معاديه ومنكريه إلا في إثبات ذلك، إذ السحر ينقلب على الساحر، وما يثيروه أعداء القرآن الكريم من شبهات؛ ثم انقلابهم خائبين خاسرين؛ لا تزيده إلا تأكيدا على أنه وحي الله تعالى لرسوله الكريم محمد الأمين صلى الله عليه وسلم .

5ـ لم يكن الإقراء النبوي للصحابة الكرام وسيلة تعليمية فحسب وإنما كان آلية هامة في توثيق النص القرآني الكريم .

6ـ إن الكلام في القراءات القرآنية، هو كلام في القرآن الكريم، والبحث فيها بحث فيه ، ومن ثم ينبغي الحذر عند إطلاق أي لفظ من شأنه أن يقرأ ويفسر على غير وجهه، ويكون سبيلا للإساءة، من حيث أراد صاحبه الإحسان.

وفي الأخير، أدعو الله تعالى أن يستعملنا في خدمة كتابه الكريم ولو بالشيء اليسير، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المراجع

أولا : المصاحف

مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي برواية حفص عن عاصم وبالعد الكوفي ، وعدد الآيات على طريقته : 6236 آية.

ثانيا : الكتب

1- إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، عمر بن فهد ، تقديم وتحقيق محمد شلتوت ، مطابع جامعة أم القرى ، مكتبة الخانجي مصر ، د ط د ت .

2- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، أحمد بن محمد البنا ، عالم الكتب بيروت ، ط 1 سنة 1407 هـ/ 1987 م .

3- الإسلام بين الرسالة والتاريخ،عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة بيروت، سنة 2001م.

4- إقراء القرآن الكريم، منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه ، دخيل عبد الله الدخيل، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط 1 سنة 1429 هـ/ 2008 م .

5- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت ـ لبنان ؛ ط 2 سنة 1391 هـ/ 1972 م .

6- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط 1 سنة 1428 هـ/ 2007 م .

7- تلقي النبي صلى الله عليه وسلم ألفاظ القرآن الكريم ، عبد السلام المجيدي ، رسالة ماجستير قدمت بجامعة أم درمان ، سنة 1999 م .

8- حياة الصحابة ، محمد يوسف الكاندهلوي ، تح نايف العباس ومحمد علي دولة، دار القلم ، دمشق ، ط 6 سنة 1414 هـ.
9- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط 2 سنة 1424 هـ/ 2003 م .
10- السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام ، تح ، مصطفى السقا وآخرون، مؤسسة علوم القرآن ، ط 2 .
11- الصحيح المسند الجامع ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار طوق النجاة، ط 1 سنة 1422 هـ.
12- صفحات في علوم القراءات ، عبد القيوم عبد الغفور السندي ، دار البشائر الإسلامية بيروت ، ط 2 سنة 1422 هـ/ 2001 م .
13- الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم ، محمد فريد عبد الله ، دار مكتبة الهلال بيروت ، ط 1 سنة 2008 م .
14- الطبقات الكبرى ، ابن سعد دار صادر بيروت .
15- علم القراءات، نشأته ـ أطواره ـ أثره في العلوم الشرعية، نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، مكتبة التوبة الرياض، ط 1 سنة 1421 هـ/ 2000م.
16- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني .
17- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت ، ط سنة 1379 هـ.
18- فضائل القرآن ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، تح وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 سمنة 1411 هـ/ 1991 م .

19- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، ترجمة هشام صالح، دار الساقي، بيروت لبنان، ط 1 سنة 1999 م.
20- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، ط1 سنة 1425 هـ/ 2004 م .
21- القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ، عبد الهادي الفضلي ، دار القلم بيروت ، ط 3 سنة 1405 هـ/ 1985 م .
22- القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية ، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 سنة 1417 هـ/ 1996 م .
23- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، مؤسسة السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ـ مصر، ط 1 سنة 1426 هـ/ 2005 م .
24- قراءة نافع ، عبد الهادي حميتو .
25- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، ترجمة وتعليق هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت ، ط سنة 2001 م .
26- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، تح عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت .
27- لسان العرب المحيط ، ابن منظور ، دار المعارف ، القاهرة ، د ط د ت .
28- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الفكر بيروت ط سنة 1412 هـ .

29- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تح عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، ط سنة 1413 هـ/ 1993م.

30- مذاهب التفسير الإسلامي للمستشرق إجنتس جولد تسيهر، مكتبة الخانجي ومطبعة السنة المحمدية القاهرة ـ مصر ومكتبة المثنى بغداد ـ العراق، دط سنة 1374 هـ/ 1955 م .

31- معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر مطبوعات جامعة الكويت، ط 1 سنة 1402 هـ/ 1982 م .

32- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تح حمدي عبد المجيد ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط 3 سنة 1404 هـ/ 1983 م .

33- معجم مقاييس اللغة، أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي مصر، ط3 سنة 1402 هـ/ 1981م .

34- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، ت ، فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان ، ط4 سنة 1423هـ/ 2002 م.

35- منجد المقرئين ، ابن الجزري ، دار البلاغ للنشر والتوزيع الجزائر ، ط 1 سنة 1424 هـ/ 2003 م .

36- وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله ﷺ إلى أمته، محمد حسن جبل، دار الصحابة للتراث، طنطا، دط، د ت .

الرسائل الجامعية

القراء والانسجام الصوتي ، نجيب العماري ، رسالة دكتوراه ، إشراف الراجي التهامي الهاشمي ، كلية الآداب الرباط ـ المغرب ، سنة 2007 م .